بسم الله الرحمن الرحيم

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: انْقَضَىٰ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَمَضَتْ لَيَالِيهِ مُسْرِعَةً، بِالْأَمْسِ كُنَّا نَسْتَقْبِلُ رَمَضَانَ، وَالْيَوْمَ نُوَدِّعُهُ، وَلَا نَدْرِي هَلْ نَسْتَقْبِلُهُ عَامًا آخَرَ أَمْ أَنَّ الْمَوْتَ أَسْبَقُ إِلَيْنَا مِنْهُ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ أَعْوَامًا عَدِيدَةً، وَأَزْمِنَةً مَدِيدَةً. تِلْكَ الْمَحَطَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ الَّتِي تَزَوَّدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّائِرِينَ إِلَىٰ اللهِ؛ فَطُوِيَتْ صَفَحَاتُ تِلْكَ الْأَيَّامِ بِمَا أُودِعَ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَخَرَجْنَا مِنْهُ بَعْدَ أَيَّامِهِ الْمَعْدُودَاتِ:

رَعَىٰ اللهُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيًا ... خِفَافًا بِنَا مَرَّتْ كَمَرِّ السَّحَائِبِ

وَيَا لَيْتَهَا لَمْ تَمْضِ عَنَّا فَفَقْدُهَا ... عَلَىٰ النَّفْسِ إِحْدَىٰ مُوجِعَاتِ الْمَصَائِبِ

عِبَادَ اللهِ: رَمَضَانُ هُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي ذُقْنَا فِيهَا لَذَّةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَامْتَلَأَتْ فِيهِ مَسَاجِدُنَا بِالْمُصَلِّينَ، وَتَكَاثَرَتْ أَعْدَادُ الْمُسْتَغْفِرِينَ التَّائِبِينَ، فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ لُزُومِ مَا اعْتَدْنَا عَلَيْهِ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ حَتَّىٰ نَنْعَمَ بِعَطَايَا رَبِّ الْبَرِيَّاتِ، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.

مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَانِتُ الْقَارِي

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَا أَنْتُمْ وَدَّعْتُمْ ضَيْفًا عَزِيزًا، وَمَوْسِمًا كَرِيمًا، بَذَلْتُمْ فِيهِ الْجُهُودَ، وَأَتْعَبْتُمْ فِيهِ النُّفُوسَ، وَانْسَكَبَتْ فِي لَيَالِيهِ عَبَرَاتِكُمْ، وَارْتَفَعَتْ فِي سَاعَاتِهِ إِلَىٰ اللهِ نَجْوَاكُمْ، فَلَا تَجْعَلُوا شَهْرَ رَمَضَانَ آخَرَ عَهْدِكُمْ بِالطَّاعَةِ، بَلِ اسْتَقِيمُوا عَلَىٰ هَذَا الطَّرِيقِ، وَاسْتَدِيمُوا هَذَا الْحَالَ، فَلَقَدْ كَانَ دَأْبُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالِاسْتِمْرَارَ فِي الْعِبَادَةِ؛ تَأَسِّيًا بِخَيْرِ الْخَلْقِ ﷺ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَطِيعُ؟، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: «يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ».

وَإِنَّ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ جَاءَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ

اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَإِنَّ مِنَ الِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ الْعَمَلِ: إِتْبَاعُ الْحَسَنَةِ بِأُخْتِهَا، فَإِنْ كَانَ رَمَضَانُ قَدِ انْقَضَىٰ فَإِنَّ الصِّيَامَ لَمْ يَنْقَضِ، فَهُنَاكَ السِّتُّ مِنْ شَوَّالٍ تَعْدِلُ مَعَ رَمَضَانَ صِيَامَ الدَّهْرِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»، وَهُنَاكَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسُ، وَالْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ، وَتَاسُوعَاءُ وَعَاشُورَاءُ، وَغَيْرُهَا مِنْ أَيَّامِ اللهِ.

وَلَئِنِ انْتَهَىٰ رَمَضَانُ، فَإِنَّ الْقِيَامَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّدَقَةَ لَمْ تَنْتَهِ، وَإِنْ أَغْلَقَ رَمَضَانُ أَبْوَابَهُ فَإِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَا زَالَتْ مَفْتُوحَةً، وَطُرُقَ الْقُرُبَاتِ مُشْرَعَةٌ.

عِبَادَ اللهِ: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا امْرَأَةٌ تَغْزِلُ غَزْلًا مَتِينًا، تُحْكِمُ خُيُوطَهُ، وَتُبْدِعُ فِي إِتْقَانِهِ، وَتَبْذُلُ فِيهِ جُهْدَهَا، وَتَقْضِي فِي إِتْمَامِهِ وَقْتَهَا، حَتَّىٰ إِذَا أَنْتَجَتْ غَزْلًا قَوِيًّا عَادَتْ إِلَيْهِ فَنَقَضَتْهُ، وَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَأَفْسَدَتْهُ، وَأَعَادَتْ خُيُوطَهُ سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ؛ فَقَالَ اللهُ ﷻ عَنْهَا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾. ذَلِكَ هُوَ حَالُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي رَمَضَانَ بِالطَّاعَاتِ، وَانْشَغَلَ فِي فِعْلِ الصَّالِحَاتِ، وَالتَّزَوُّدِ مِنَ الْقُرُبَاتِ، حَتَّىٰ إِذَا انْقَضَىٰ الشَّهْرُ عَادَ إِلَىٰ حَالِهِ قَبْلَ الصِّيَامِ، وَتَوَسَّعَ فِي الْمُبَاحَاتِ، وَوَقَعَ فِي الْآثَامِ.

وَالنَّاسُ بَعْدَ رَمَضَانَ إِمَّا مُحْسِنٌ مُسَابِقٌ، وَإِمَّا مُسِيءٌ مُقَصِّرٌ. فَيَا مَنْ أَحْسَنْتَ فِي رَمَضَانَ أَدِمِ الْإِحْسَانَ، وَكُنْ رَاجِيًا مِنَ اللهِ قَبُولَ مَا قَدَّمْتَ، وَخَائِفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَا تَسَبَّبَ فِي رَدِّ عَمَلِكَ، فَقَدْ عَلَّمَنَا رَسُولُنَا ﷺ أَلَّا نَرْكَنَ إِلَىٰ أَعْمَالِنَا، وَأَمَرَنَا أَنْ نَزْدَادَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ كُلَّمَا ازْدَدْنَا عَمَلًا وَقُرْبًا، وَأَنْ نَكُونَ حَرِيصِينَ عَلَىٰ قَبُولِ الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنَّا عَلَىٰ الْعَمَلِ ذَاتِهِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَلَّا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ».

وَيَا مَنْ قَصَّرَ فِي رَمَضَانَ، وَذَهَبَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُهُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَتَقْصِيرٍ، وَلَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، أَتَظُنُّ أَنَّكَ سَتَبْقَىٰ إِلَىٰ رَمَضَانَ الْقَابِلِ؟

أَلَمْ تَنْهَكَ الْأَيَّامُ بِتَسَارُعِهَا، أَلَمْ يَعِظْكَ الْمَوْتُ بِتَخَطُّفِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِكَ؟ أَمَا إِنَّ رَمَضَانَ عَائِدٌ فَهَلْ سَتَعُودُ أَنْتَ إِلَيْهِ؟ فَلْتُبَادِرْ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالْعَزْمِ عَلَىٰ عَدَمِ الْعَوْدَةِ لِلذَّنْبِ، وَالِانْتِبَاهِ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْغَفْلَةِ، فَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا أَيَّامٌ وَتَلْقَىٰ رَبَّكَ، فَادَّخِرْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ عَمَلًا تُلَاقِيهِ بِهِ، وَزَادًا تَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ الْمُدَاوَمَةَ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ سَبَبٌ فِي حُسْنِ خَاتِمَةِ الْعَبْدِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ سُرَيْجٍ وَلَهُ صُحْبَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، عَسَلَهُ »، قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ». وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» أَيْضًا، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ»، قِيلَ: وَمَا اسْتَعْمَلَهُ؟ قَالَ: «يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ». وَاحْذَرُوا يَا عِبَادَ اللهِ عَدَمَ وُصُولِ الْعَمَلِ إِلَىٰ الْقَلْبِ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمَدَارِجِ»: فَبَيْنَ الْعَمَلِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ مَسَافَةٌ، وَفِي تِلْكَ الْمَسَافَةِ قُطَّاعٌ تَمْنَعُ وَصُولَ الْعَمَلِ إِلَىٰ الْقَلْبِ، فَيَكُونُ الرَّجُلُ كَثِيرَ الْعَمَلِ، وَمَا وَصَلَ مِنْهُ إِلَىٰ قَلْبِهِ مَحَبَّةٌ وَلَا خَوْفٌ وَلَا رَجَاءٌ، وَلَا زُهْدٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَا رَغْبَةٌ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا نُورٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَا قُوَّةٌ فِي أَمْرِهِ، فَلَوْ وَصَلَ أَثَرُ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ قَلْبِهِ لَاسْتَنَارَ وَأَشْرَقَ، وَرَأَىٰ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ.

عِبَادَ اللهِ: اللهُ لَا يُرِيدُ مِنْ عِبَادَاتِنَا الْحَرَكَاتِ وَالْجُهْدَ وَالْمَشَقَّةَ فَحَسْبُ، بَلْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ التَّقْوَىٰ وَالْخَشْيَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدِ امْتُحِنَتِ الْأُمَّةُ بِصُنُوفِ الْمَكْرِ وَأَثْقَالِ الْمَصَائِبِ، وَكَانَ بَعْضُ ذَلِكَ كَافِيًا لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ، إِلَّا أَنَّ قُوَّةَ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ يَنَابِيعُ عَذْبَةٌ، تَتَجَدَّدُ رَغْمَ الْمَصَاعِبِ، وَأَنَّ الْغَدَ الْمَأْمُولَ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ نُصْرَةُ قَضَايَا أُمَّتِهِمْ، وَالتَّحَلِّي بِالصَّبْرِ وَضَبْطِ النَّفْسِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي الدُّعَاءِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ أَمَامَ الْعَوَاصِفِ الْعَاتِيَةِ؛ حَتَّىٰ تَنْقَشِعَ الْغُمَّةُ وَيَنْكَشِفُ الْكَرْبُ: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ بِعَزِيزٍ﴾.